مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية

المجلد 13، العدد1، (السداسي الأول 2021)
ص.11-46

الحافظ ابن رُشَيد السبتي مُجدد مدرسة الحديث بالمغرب الأقصى في القرنين السابع والثامن الهجريين.

Ibno Rochaid Sabti, the innovator of Hadith school in Morocco in the Hijri seventh and eight centuries

عبد الرزاق زريوح*

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس – المغرب،

zariouh.abderazzak@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/08 تاريخ القبول: 2020/12/29 تاريخ النشر: 2021/03/30

ملخص:

تميز النصف الأخير من القرن السابع والقرن الثامن الهجريين بكساد سوق الحديث، وتراجع الاهتمام به في المغرب الأقصى، وهي مرحلة حرجة من تاريخ مدرسة الحديث بالمغرب ومنعطف حاسم كاد يعصف ببنائها، وكان الوعي بهذا الوضع المقلق وأسبابه دافعا للعلماء والمحدثين إلى بذل جهد مضاعف لتجاوزه، مما جعل علم الحديث رواية ودراية لم يندثر في هذه الفترة من العصر المريني الأول.

وكان الحافظ ابن رُشيد السبتي واحدا ممن نذر نفسه لمقاومةِ هذا الحال، ورفْعِ لواء التجديد في المدرسة الحديثية المغربية. وعليه فإن هذا البحث يهدف إلى التعريف بهذا العلَم وتسليط الضوء على أبرز إنتاجاته وجهوده الحديثية، ودورها في استمرار الاهتمام بالدراسات الحديثية في المغرب في هذه الفترة، وهو ما يجعل لهذا الموضوع أهميته وقيمته.

ولهذه الغاية كان الحديث في مطلب أول عن أسباب جمود الحركة الحديثية ومظاهره خلا القرنين السابع والثامن. وفي مطلب ثان عن ابن رُشيد السبتي وجهوده في إحياء مدرسة الحديث في القرنين السابع والثامن الهجريين. إضافة إلى مقدمة تضمنَت أهمية الدراسة وأهدافها وتساؤلاتها وخطة إنجازها؛ وخاتمة حوت أبرز النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: ابن رشيد؛ المدرسة الحديثية؛ المغرب الأقصى؛ القرن السابع.

*المؤلف المرسل

Abstract:

The second half of the seventh century and the eight century have witnessed a decline in the interest in Hadith in Morocco. This period was critical in the history of the Moroccan Hadith school, which was about to collapse. Being aware of this hard situation and its causes, the Hadith scholars have made great efforts to preserve the Hadith science in the first Merinid era.

Ibno Rochaid Sabti was one of the scholars who devoted himself to renovate the Moroccan Hadith school. This piece of research aims at shedding light on Ibno Rochaid Sabti, his efforts and achievements in the field of Hadith in addition to his role in the continuous interest in Hadith studies in that period. This actually gives the topic its great value.

The first section revolves around the causes of stagnation of Hadith movement during the seventh and eight centuries. The second section deals with Ibno Rochaid Sabti's efforts to revive Hadith school in the Hijri seventh and eight centuries. In addition, the introduction contains the importance of the study, its objectives, research questions and methodology. Whereas, the conclusion summarises the findings of the research.

Keywords: Ibno Rochaid Sabti; Hadith school; Morocco; the Hijri seventh centuries.

مقدمة:

تميز النصف الأخير من القرن السابع والقرن الثامن الهجريين بكساد سوق الحديث، وتراجع الاهتمام به في المغرب الأقصى، وقد وصف ابن رُشيد السبتي (ت721هـ) هذا التراجع والتقهقر في مجال الدراسات الحديثية بالمغرب وصفا دقيقا مع حسرة وأسف منه، ومع إشارته إلى مظاهر هذا التراجع الذي شمل كل ما له صلة بالحديث وعلومه، فيقول: "إني لما رأيت الحديث يحبه ذكور الرجال ويكرهه إناثهم، أحببت الذكورة وكرهت الأنوثة، وصرفت همتي إليه، ولم أعول من العلوم مع كتاب الله إلا عليه؛ على أني لم أواف هذا العِلْم بأُفُقنا[1] إلا كاسدة سوقه، غامرة سوقه، متقلصا بُسُوقُه،[2] قد تلفت بضائعه، ودرست صنائعه، وقطع الجهال أسلاكه، ولم يملك العلماء في بلادنا مِلاكه، حتى تفرقت أنفاسه شَعَاعا،[3]

[1] الْآفَاقُ: النَّوَاحِي، وَاحِدُهَا أُفُق. [لسان العرب لابن منظور، فصل القاف، 171/6].

[2] بسَقَ الشَّيْءَ يَبْسُق بُسوقاً: تَمَّ طُولُهُ. [لسان العرب، فصل الباء، 20/10].

[3] الشَّعَاع: المتفرق. يقال: تطاير القوم شَعَاعا أي متفرقين. [لسان العرب، فصل الشين المعجمة، 181/8].

وكسفت شموسه، وخسفت بدوره، فلم يلتمحوا لها نورا، ولا التمعوا شُعاعا. فعُطلت فوائده، ونُثرت فرائده، وتُنُوسيت مقاصده ومعانيه، وأُفقرت معاهده ومغانيه، وكُره مُعَانيه، وأُحب مُناويه، وأخلفت نجومه، ولم تتوكف[4] غيومه، فصوّحت[5] خضرته، وصرّحت بشكوى الظماء روضته."[6]

ولم يكن ابن رشيد هو الوحيد الذي ساءه ما آل إليه الحديث وعلومه في المغرب من تدهور وانحطاط، حيث شاركه في ذلك صاحبه المحدث الفقيه أبو القاسم ابن الشاط السبتي (ت723هـ)، مبينا السبب الذي دعاه إلى أخذ سند صحيح البخاري عن أسند شيوخ بلده، وهو أبو علي ابن أبي الشرف (ت 702هـ)، والجهود التي بذلها من أجل بعث الحركة الحديثية من جديد، بمساندة بعض أصحابه، فقال: "إنه لما أَعرض الناس عن العناية بطريق الرواية في هذه البلاد، وأخلدوا إلى رفضها وحطها عن رتبها أشد الإخلاد، انتدبت وبعض الأصحاب ممن وفقه الله تعالى للسداد، وسلك به سبيل البر والرشاد، إلى النداء باسمها، والأبدإ لوسمها، تنفيقا لسوقها بعد الكساد. ولم نزل نباحث كل من ضرب العلم بنصيب، أو أوى من الحلم إلى محل خصيب، حتى أظفرنا البحث، بل البَخْت[7] بان، لسيدنا الشيخ الفقيه... أبي عبد الله الحسين بن طاهر... سماعا في صحيح إمام صناعة الحديث، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ﷺ، فاغتنمناها نعمة هنيَّة أنعم الله بها علينا، ومنّة سنية أهداها إلينا"[8].

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الموضوع -إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة- من كونها تتعلق بمرحلة مهمة من تاريخ مدرسة الحديث بالمغرب الأقصى ومنعطف حاسم كاد يعصف ببنائها، فهي تُفنِّد ما شاع لدى البعض من تلك القولة التي صارت كالمثل السائر:

---

[4] يُقَال: توكف الْخَبَر وتوَّقعه وتسقطه إِذا انْتظر وكْفه ووقوعه وسقوطه. من وكف الْمَطَر إِذا وَقع. [الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، 79/4.

[5] صوَّح: تصوح البقل وصوح: تَم يبسه؛ وقيل: إذا أصابته آفة ويبس. [لسان العرب، فصل الصاد، 519/2].

[6] إفادة النصيح بسند الجامع الصحيح، ص: 4.

[7] البَخْتُ: الجَدُّ والحَظُّ. [تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، باب التاء، فصل الباء، 437/4].

[8] الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي ابن أبي الشرف، لابن الشاط، ص: 44.

"لولا عياض لما ذكر المغرب"، [9] إذ لنا مع القاضي عياض، أعلام آخرون في ميدان الدرس الحديثي، لا يقلّون عنه مكانة وتألّقاً وإبداعاً وأصالة، عبر توالى العصور والدول المتوالية. وعلى رأس هؤلاء، رائد مدرسة الحديث وحامل لوائها ومجدد صرحها في القرنين السابع والثامن الهجريين الحافظ ابن رشيد السبتي -رحمه الله-. وعليه فإن التعريف بهذا العلَم والوقوف عند إنتاجاته وجهوده الحديثية، ودورها في إحياء مدرسة الحديث واستمرارها في هذه الفترة يجعل لهذا الموضوع أهميته وقيمته.

أهداف الدراسة:

من أهداف هذا البحث الكشفُ عن مدى مساهمة الوعي بهذا الوضع المقلق الذي عبر عنه أمثال ابن رشيد وابن الشاط وغيرهما، في دفع العلماء والمحدثين إلى بذل جهد مضاعف لتجاوزه، مما جعل علم الحديث رواية ودراية لم يندثر في هذه الفترة من العصر المريني الأول.[10]

وخاصة التعريف بأبرز أعلام هذه المرحلة الذي وصفته في عنوان المقالة بـ (مجدد مدرسة الحديث)، وهو الحافظ ابن رُشيد السبتي -رحمه الله- فهو واحدا ممن نذر نفسه لمقاومةِ هذا الحال، ورفْعِ لواء التجديد في المدرسة الحديثية المغربية.

كما يهدف البحث إلى تسليط الضوء على أبرز إنتاجاته وجهوده الحديثية، ودورها في استمرار الاهتمام بالدراسات الحديثية في المغرب في هذه الفترة الحرجة.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

لتحقيق الأهداف السابقة ارتأيت أن تكون مشاركتي في هذا العدد من مجلة **(البحوث العلمية والدراسات الإسلامية)** المباركة مهتمة بهذا الجانب، ووسمتها: بـ **(الحافظ ابن رشيد السبتي مُجدد مدرسة الحديث بالمغرب الأقصى في القرنين السابع والثامن الهجريين)** علّها تجيب عن بعض التساؤلات التي يمكن أن تثار، من قَبيل:

ما هي أوضاع المدرسة الحديثية بالمغرب في القرنين السابع والثامن الهجريين؟ وما هي أسباب كساد سوق الحديث، وتراجع الاهتمام به في المغرب الأقصى -كما وصفها ابن رُشيد؟ وما هي مظاهر هذا التراجع والتقهقر في مجال الدراسات الحديثية؟

---

[9] التعريف بالقاضي عياض، لابنه محمد بن القاضي عياض، (تحقيق: محمد بن شريفة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1982)، ص: 2.

[10] يمتد العصر المريني الأول من عام 667هـ إلى عام 741هـ.

ومن هو ابن رُشيد السبتي؟ وما أهمية رحلته الحديثية؟ ومن هم أبرز شيوخه من أهل الحديث؟ وما جهوده في خدمة الحديث رواية ودراية؟ وما هي معالم المنهج النقدي الذي مارسه ابن رشيد على مروياته الحديثية؟ وما هي أهم مؤلفاته في مجال الدراسات الحديثية؟ وكيف أسهمت جهوده في استمرار الاهتمام بالدراسات الحديثية في المغرب في هذه الفترة الحرجة؟

كما تُعد من الأهداف الأساسية لهذا البحث أيضا الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها.

خطة الدراسة: لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته، اعتمدت فيه خطة احتوت على مقدمة ومطلبين وخاتمة.

تضمنت **المقدمة** أهمية الدراسة وأهدافها وتساؤلاتها وخطة إنجازها؛ كما تضمنت **الخاتمة** أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وفي **المطلب الأول** تحدثت عن أسباب جمود الحركة الحديثية ومظاهره خلا القرنين السابع والثامن.

والمطلب الثاني خصصته للحديث عن ابن رُشيد السبتي وجهوده في إحياء مدرسة الحديث في القرنين السابع والثامن الهجريين.

فأقول مستعينا بالله متوكلا عليه:

المطلب الأول: أسباب ومظاهر جمود الحركة الحديثية خلا القرنين السابع والثامن:

الفرع الأول: أسباب جمود الحركة الحديثية وتراجعها:

من الأسباب التي أدت إلى تراجع الدراسات الحديثية وانكماشها في هذه الفترة، ما تميز به العصر المريني من رد الاعتبار لكتب الفروع والعمل بها، كما ردوا لأصحابها من فقهاء المالكية مكانتهم السابقة في عهد الدولة المرابطية، وأولى أمراؤهم اهتماما كبيرا لإحياء هذا المذهب، ومنهم الأمير أبو الحسن المريني،[11] الذي كان يستقبل فقهاء المالكية في جلساته للسماع والإصغاء إليهم، ولم يسمع طروحات المعتزلة أو غيرهم من المذاهب الأخرى، حتى أصبح المذهب المالكي هو السائد في تدريسه لطلاب العلم بالمدارس والمؤسسات الحكومية، من مختصرات وشروح وحواش يعمل بمقتضاها، ويفتى ويحكم على ضوئها.

فكثرت بذلك التآليف الفقهية واهتم الفقهاء كثيرا بشرح أمهات الفقه المالكي "كالمدونة"؛ حيث نالت عناية خاصة، ورجحوها على غيرها من سائر المصنفات المالكية، ويتجلى ذلك في كثرة الشروح والاختصارات والطرر التي وضعت عليها خلال العهد المريني، والذي بعده.[12] وما استظهار الفقهاء لها عن ظهر قلب إلا دليل على هذه العناية الفائقة بها. وقد ذكر المقري أنه كان لا يسمح للقاضي بتولي خطة القضاء، ولا للخطيب بصعود المنبر إذا لم يكن حافظا للمدونة مستظهرا لها، فقال: "وكان لا يجعل القالص[13] عندهم على رأسه إلاّ من حفظ الموطّأ، وحفظ المدوّنة"[14].

وبجوار المدونة كان الاهتمام أيضا بالموطأ باعتباره كتاب فقه وحديث، وبالرسالة لابن أبي زيد، والتفريع لابن الجلاب، والتلقين للقاضي عبد الوهاب، والجواهر لابن شاس، ومختصر الطليطلي، إذ كانت تعتبر من أبرز كتب الدرس الفقهي بالمغرب.

---

[11] مدة حكمه: 731هـ-752هـ.

[12] ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، 206/2 وما بعدها.

[13] القالص: - بالصاد والسين – أي القلنسوة التي يضعها القاضي والعالم على رأسه. (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري، ت إحسان عباس، الناشر: الناشر: دار صادر- بيروت، ط: 1، 1997، 216/3؛ تكملة المعاجم العربية، لرينهارت دوزي، المحقق: محمد سليم النعيمي، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م، 361/8؛ غابر الأندلس وحاضرها. محمد كرد علي، الناشر: دار القلم، بيروت، ص: 81)

[14] نفح الطيب، 458/1.

وهكذا استقر المغرب نهائيا منذ العهد المريني، إلى يومنا على فقه مالك، مذهبا رسميا للدولة يُقتدى ويُعمل به، في مختلف مناحي الحياة.[15]

ولعل من أسباب هذا الركود في الدراسات الحديثية في هذه الفترة أيضا، ما عرفه المغرب في الفترة الموحدية من نهضة حديثية كبيرة وتوارد مختلف مصادر الحديث إليه، والتفنن في علومه؛ إذ ساد الاعتقاد بأن الأحاديث قد مُيّزت مراتبها، وعُرف صحيحها من سقيمها، فلم يبق غير روايتها. فهذا ابن خلدون يقول: "وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا ... واعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها، تنزّلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل. ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفطنون إلى أنه قد قلب عن وضعه"[16].

كما كان لضعف الهمة حينئذ، وصعوبة علوم الحديث وتشعبها، دور في هذا التراجع. فقد أشاد ابن رشيد بعلو همة الأقدمين في طلب الحديث بخلاف معاصريه؛ لأنهم كانوا يقطعون الشقة الكبيرة، ويلاقون المشقة الكثيرة في طلب الحديث الواحد.[17]

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسباب التي أدت إلى تقهقر الدراسات الحديثية، التوجه العام الذي سارت عليه الدولة من الاهتمام أكثر بالعلوم الشرعية المنظمة لشؤون الناس ومعاملاتهم الدنيوية، أو التي تسهل أساليب الحياة وتهذبها، وتوفر رغد العيش. فعرفت علوم اللغة والأدب والشعر والنحو في عهدهم تطورا ونشاطا قل نظيره، فاهتم بها العلماء والطلبة، وعقدت فيها حلقات الدرس، وظهرت المصنفات في سائر هذه الفنون.[18]

---

[15] وصل أمر ازدهار الفقه المالكي في ربوع المغرب هذا العصر خاصة، إلى أن صار يزود المشرق، وخصوصا بلاد الشام بعدد كبير من فقهاء المالكية، حيث ذهب الكثير من العلماء والفقهاء والقضاة والتلاميذ الى بلاد المشرق لتدريس هذهِ العلوم. وقد ذكر ابن العماد في (شذرات الذهب)، أسماء عدد كبير منهم. كالقاضي برهان الدّين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصّنهاجي المالكي، (ت696هـ)، وأحمد بن يعقوب الغماري المالكي، قاضي حماة (ت696هـ). [انظر: المغرب عبر التاريخ، لإبراهيم حركات. 146/2؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 589/8، 590].

[16] تاريخ ابن خلدون، 561/1.

[17] انظر: إفادة النصيح بسند الجامع الصحيح، لابن رُشيد السبتي، (تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الناشر: الدار التونسية للنشر. د.ت.) ص: 4.

[18] انظر: المغرب عبر التاريخ، 141/2-59.

الفرع الثاني: مظاهر جمود الحركة الحديثية بالمغرب:

لم تكد تنتهي الدولة الموحدية وتنقرض على يد المرينيين بصفة نهائية، سنة 667هـ، حتى تعطلت تلك النهضة الحديثية المباركة، ورجع العمل بعلم الفروع، كما كان من قبل، بل أكثر. وضُرب على يد علماء الحديث وضُيق عليهم، وأصبح القضاء والفتوى على مذهب مالك دون غيره.

يقول صاحب كتاب (بيوتات فاس الكبرى): "ولما تولى يعقوب المريني (ت685هـ) مملكة المغرب، وطلب منه أهل المغرب الرجوع في القضاء إلى مذهب مالك عن طيب أنفسهم، أمر قضاة المغرب بذلك، وترك مذهب الظاهرية"[19].

وكان هذا غالب الحال في النصف الأخير من القرن السابع الهجري والقرن الثامن الهجري. يقول المقري (ت1041هـ)، واصفا هذا الحال: "ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنقل مِن كتب مَن لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها، لعدم تصحيحها، ... ثم كُلُّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ما قلَّ لفظه، ونزر حظه، ... ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، ..."[20].

وقد سبق في المقدمة وصف ابن رُشيد السبتي وابن الشاط لهذا التراجع الذي شمل كل ما له صلة بالحديث وعلومه.

وكذلك لما دخل كتاب "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض إلى المغرب، وأنشد فيه ابن الصلاح وكان لا يُغبُّ مطالعته والاستفادةَ منه:

مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتَةٍ وَمِنْ عَجَبٍ كَوْنُ الْمَشَارِقِ بِالْغَرْبِ

ذيَّله ابن رُشيد ببيت يبدي فيه عجبه الشديد من ظهور هذا السفر العظيم في بلد مفقر جذب من علم الحديث، فقال:

مَرْعَى خَصِيبٍ فِي جَذِيبٍ رُبُوعُهَا أَلَا فَاعْجَبُوا لِلْخَصْبِ فِي مَنْزِلِ جَذْبِ[21]

---

[19] بيوتات فاس الكبرى لإسماعيل بن الأحمر، (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1392هـ/1972م)، ص: 21-22.

[20] نفح الطيب. 276/5.

[21] تحفة القادم، لابن الأبار، (تعليق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م)، ص: 45.

وقد عبر ابن مرزوق الجد (ت781هـ) أيضا، عن ندرة المسندين في عصره، وهو يستشفع السلطان أبا عنان المريني، حين قال: "لي ثمانية وأربعون منبرًا في الإسلام شرقًا وغربًا وأندلسًا، ... وليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعًا من باب إسكندرية إلى البَرَّيْن[22] والأندلس غيري"[23].

المطلب الثاني: ابن رُشيد السبتي وجهوده في إحياء مدرسة الحديث في القرنين السابع والثامن الهجريين:

بدأت تتجلى بعض ملامح التجديد في المدرسة الحديثية بالمغرب الأقصى من خلال علمائها الكبار؛ وعلى رأسهم ابن رُشيد السبتي (ت721هـ).

الفرع الأول: نشأته وطلبه للعلم:

ولد أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر بن رُشَيْد[24] الفهري بمدينة سبتة، في رمضان سنة 657 هجرية،[25] في أوّل ولاية أبي يوسف، يعقوب بن عبد الحق المرينيّ. (ت685هـ)

وبدأ دراسته بها وأخذ عن مشايخها، وكان اعتماده في علوم اللسان على أبي الحسين بن أبي الربيع قرأ عليه كتاب سيبويه واستوعبه[26]، كما اهتم بالأدب غاية الاهتمام. ثم رحل إلى فاس، فدرس بها الحديث وبرع فيه"[27].

فمن خلال هذه النشأة ببلده سبتة ورحلته الداخلية إلى فاس منذ صغره، يتبين لنا مدى الهمة العالية التي تحلى بها ابن رشيد، وقد عبر عنها ابن الخطيب تعبيرا أدبيا رائعا حيث قال: "نشأ ببلدة سبتة – حرسها الله – أصون من الدر في صدفه، وأطهر من الماء

---

[22] تطلق كلمة "البَرَّين" على العدوتين اللتين يفصل بينها البحر. وهما عدوة المغرب وعدوة الأندلس. [انظر: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، لابن الحِميرى، (تحقيق: لافي بروفنصال، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م)، ص: 68].

[23] نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، (دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، 2000م)، ص: 453.

[24] ضبطه صاحب السلوة، بأنه تصغير لرَشِيد، وقال ابن القاضي: إنه تصغير لرُشْد. (درة الحجال، 96/2؛ سلوة الأنفاس، 216/2).

[25] الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر،369/5.

[26] الدرر الكامنة، 369/5؛ ذيل تاريخ الإسلام، للذهبي، ص: 210.

[27] انظر: الدرر الكامنة، 369/5.

الطهور في نطفه. لا يسرح في غير المطالعة طرفا، ولا يتنشق لغير المعارف عرفا، حتى سما مقداره، وكمل في وطنه إبداره، فأشارت إليه العيون"[28].

توفي رحمه الله، بعد حياة حافلة بالدرس والتحصيل، في مدينة فاس، ليلة الاثنين 24 من شهر محرم سنة 721هـ، في عهد الأمير أبي سعيد عثمان المريني، عن عمر يناهز 63 سنة، ودفن في الجبَّانة التي بخارج باب الفتوح، بالروضة المعروفة بمطرح الجنة.[29]

الفرع الثاني: رحلته وشيوخه:

أولا: أهمية رحلة ابن رُشيد: لما بلغ السادسة والعشرين من عمره، طمح إلى الرحلة؛ والتزم بأدبها، حيث لم تَتُق نفسه إليها إلا بعد ما أخذ حظا وافرا من العلم عن شيوخ بلده، فاستوعب ما كان عندهم من الثقافة ومختلف العلوم والمعارف التي كانت منتشرة منذ عهد المرابطين والموحدين.

كما تاقت نفسه إلى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق ليكمل عليهم اختصاصه في علم الحديث ويحصل على أعالي الأسانيد.

وقد دَوَّن تفاصيل رحلته هذه، في مؤلف عظيم سماه: (ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة) وإن كانت لا يوجد منها اليوم نسخة كاملة.[30]

واستغرق كتابه هذا "الرحلة" مدة غيبته وأتمه بعد رجوعه، وقد فصل فيه ما رواه من مختلف الأقطار وتلقاه بالإجازة والسماع، رواية ودراية عن أئمة العلم وأهل الحديث، كما ترجم فيه لأعلام المحدثين ببجاية وتونس وطرابلس والإسكندرية والقاهرة والشام وبلاد الحرمين والأندلس.

فهو كتاب مشحون بشؤون الحديث والأسانيد العديدة التي روى بها أمهات كتب هذا الفن.

---

[28] أوصاف الناس في التواريخ والصلات، للسان الدين بن الخطيب، ص: 101.

[29]- الوافي بالوفيات، 200/4؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، 108/3؛ الدرر الكامنة، 369/5-370.

[30]- اختلف الذين ترجموا لابن رشيد والذين تحدثوا عن رحلته في تحديد عدد أجزائها، ولم يستقر رأيهم في ذلك على شيء ثابت، ولعل مرد ذلك إلى أن بعضهم سمع عنها، وبعضهم قرأ أجزاء منها، وفيهم من اطلع عليها كلها؛ وهناك سبب آخر لهذا الاختلاف، وهو أن بعضهم قد يكون اطلع على الأصل، ومنهم من اطلع على نسخ منقولة من الأصل، فتختلف بذلك النسخ وعدد أجزائها، كما يحدث حتى في الكتب الحديثة التي تتعدد طبعاتها وتختلف أجزاؤها. [انظر: فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني 443/1-444].

وقد لخص ابن رشيد بنفسه ما تضمنه كتابه "ملء العيبة" حيث قال: "وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعلّه لا يحصره ديوان، ويعزّ وجوده على ذي البحث والتنقير والافتنان من مسائل حديثيّة وأصليّة وأدبية وبيانية، بعضها منقول عن أئمتنا وأشياخنا، وبعضها ممّا فتح الله فيه من فضله العميم... وقد ضممت هذا المجموع من الأحاديث النبوية والغرائب الأصليّة والفقهية، واللطائف الأدبية، والنكت العروضية والفقهية، واللطائف الأدبية، وضبط المشكل من أسماء الرجال، والتعريف بكثير من المجاهيل والأغفال"[31].

وقد أثنى على هذه الرحلة كل من ذكر ابن رشيد.

من ذلك ما قاله ابن الخطيب في الإحاطة: "فيها فنون وضروب من الفوائد العلمية والتاريخ وطرق من الأخبار الحسان والمسندات العوالي والأناشيد وهي ديوان كبير لم يسبق إلى مثله"[32].

وقال المقري: "أودع فيها ذكر أشياخه وجمع فيها من الفوائد الحديثة والأدبية كل عجيبة وغربية"[33].

وقال العلامة عبد الله كنون: "فإن ما تشتمل عليه هذه الرحلة العامرة من فوائد علمية وأدبية وتاريخية، وتحقيقات في المسائل العويصة من المعقول والمنقول، وتعريف بأحوال المترجمين فيها من علماء وأدباء وشيوخ الرواية والحديث... فضلا عن الروايات والأسمعة التي تحمل بها، والكتب والأجزاء التي قراها في مختلف فنون العلم، هو شيء لا يأتي عليه الوصف، ولا يدرك أهميته إلا من وقف على نفس الرحلة واستوعب مضمونها، واستخلص زبدتها في غير ملل ولا ضجر"[34]

ثانيا: شيوخه من أهل الحديث: أودع ابن رشيد في رحلته "ملء العيبة" من لقيهم من الشيوخ والأصحاب داخل بلده، وفي رحلته، وهم أكثر من مئتين وخمسين علَماً، حسب ما

[31]- ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، لابن رشيد السبتي، 33/2.

[32]- الإحاطة، 103/3.

[33]- فهرس الفهارس، 443/1.

[34]- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة. لعبد الله كنون، 394/1.

أحصاه الأستاذ الحدادي[35]؛ وتنوعت مشاربهم واختلفت بلدانهم، منهم مغاربة وأندلسيون وتونسيون ومشارقة. وقد حرص على أن يصدِّر كل من ترجم له في رحلته بوصف معين، يتعلق بالعلم أو العمل أو الخلق؛ ولم يورد هذه الأوصاف، من أجل التفخيم أو التهويل على عادة المترجمين الذين يكون لهم نمط في تحلية الأسماء المترجم لها بأوصاف تكاد تكون مشتركة بين كل الأعلام؛ وإنما هي أوصاف لها دلالة حقيقية على الموصوف. وأغلبها لشيوخه من أهل الحديث.[36] في مقدمتهم:

1) **أبو البركات موسى عبد الله التجيبي المرسي المعروف بالقميجي**، لقيه بتونس، عام 684هـ ووضع له إجازة بخطه،[37] وقرأ عليه أحاديث المصافحة للقاضي أبي بكر بن العربي، وقد انتقد ابن رشيد هذه الأحاديث وعارض بعضها، وتتبعها واحدا واحدا، وبيّن ما وقع فيها لابن العربي من وهم.[38]

2) **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الأنصاري الأوسي الشاطبي**، نزيل تونس، قدم إليه ابن رشيد من بلاد المغرب، ووصفه ابن رشيد بـ"الفقيه الراوية المكثر المسند المقيد الضابط. أحد المكثرين سماعا وتقييدا؛ سمع العالي والنازل، واقتنى من الأمهات والأجزاء كثيرا، استجاز كل من أدركه شرقا وغربا"[39].

روى عنه حديثا مسندا إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وإن بين ذلك أمورا مشتبهات ..."[40].

كما قرأ عليه مسلسلات القاضي أبي بكر بن العربي، وسمع منه ما افتقر إلى السماع.[41]

---

[35]- رحلة ابن رشيد السبتي: دراسة وتحليل، لأحمد حدادي، 165/1.

[36]- انظر: رحلة ابن رشيد السبتي: دراسة وتحليل. 168/1.

يقول ابن رشيد في بيان منهجه في التراجم: "وكذلك من وصفته من شيوخنا وأصحابنا بصفة، أو حليته بحلية، فلم أتجاوز في أوصافهم، بل جئت بما هو أقرب إلى إنصافهم، وإن سلك في بعضها على عادة أهل الأدب من الشعراء والكتاب، فما قلت إلا بما علمت بعد، ويشهد لهم بذلك ما لهم من السؤدد والمجد". (ملء العينة، 34/2).

[37]- انظر: ملء العينة، 252/2.

[38]- نفسه، 272/2.

[39]نفسه، 173/2.

[40] أخرجه البخاري في: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: 52؛ ومسلم، في: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: 1599؛ والترمذي إلى قوله: "محارمه"، في: أبواب البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات، حديث رقم: 1205، وأبو داود باللفظ الذي أورده ابن رشيد، في: كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات، حديث رقم: 3329.

[41]-ملء العينة، 175/2-179.

3) **أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الدين الخزرجي.** لقيه ابن رشيد بالإسكندرية، وأجاز له ولأولاده وإخوته جميع ما يجوز له روايته، وما له من نظم ونثر.[42] يقول ابن رشيد: "أول حديث سمعته من الشيخ الخزرجي: الحديث المسلسل عن شيخه بالأندلس، الحافظ المحدث أبي حوط الله الأنصاري الأندلسي (ت612هـ): "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[43][44].

4) **أبو محمد عبد الله بن منصور، بن أبي علي اللخمي** (ت692هـ)،[45] لقيه ابن رشيد بدكان منزله بالإسكندرية، يوم السبت 21 جمادي الآخرة سنة 684هـ، وقرأ عليه جميع المجالس الخمسية السّلماسية التي أملاها الحافظ أبو طاهر السِّلَفي الأصبهاني (ت576هـ) سنة 506هـ؛ وقد أجازه المكين الأسمر لنفسه ولبنيه وأخواته، جميع ما يجوز له روايته. وروى عنه حديث: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"[46][47].

5) **أبو فارس عبد العزيز بن أبي إسحاق الجزيري التلمسيني السبتي.**[48] سمع منه ابن رشيد كتاب الجامع الصحيح للبخاري، واختاره بعد ذلك لابنه محمد، لسماعه منه أيضا، إذ كان يعتبره أسند أهل المغرب، وأشهرهم ثقة وعدالة، وأحسنهم سمتا.[49] وقد قال عن سند أبي فارس الجزيري الذي أتحف به ابنه لرواية البخاري: "وهذا أقرب إسناد يمكن في الدنيا شرقا وغربا، فقد أنضينا[50] المطي في طلب أعلى منه فما وجدنا"[51].

---

[42] رحلة ابن رشيد السبتي، 350/1.

[43] أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: 1924؛ وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: 4941.

[44] رحلة ابن رشيد السبتي، 350/1.

[45] غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، (460/1؛ شذرات الذهب، /421.

[46] رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الابتكار في السفر، رقم: 2606؛ والترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير في التجارة، رقم: 1212، وابن ماجه في سننه، كتاب: التجارات، باب: ما يرجى من البركة في البكور، رقم: 2236، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب الوقت الذي يستحب فيه توجيه السرية، رقم: 8782.

[47] ملء العيبة، 45/3.

[48] لم أقف على تاريخ وفاته.

[49] -إفادة النصيح بسند الجامع الصحيح، ص: 14.

[50] يقال: أَنْضَى بَعِيرَهُ هَزَلَهُ. وأنضى سنام البعير إذا ذهب شحمه. (انظر: مختار الصحاح، لزين الدين الرازي، مادة: "ن ض ا" ص: 313؛ لسان العرب لابن منظور، فصل الخاء، باب العين، 72/8)

[51] إفادة النصيح ص: "كا"

6) **محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي**(ت703هـ)، وصفه ابن رشيد بالمحدث الناقد.[52] وذكره مع ابنه أبي القاسم، في "الاستدعاء الكبير" المؤرَّخ في رجب عام 684هـ، وهو الذي استدعى فيه الإجازة من علماء الشرق، لنفسه ولأولاده وأقاربه.[53]

7) **محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي المعروف بابن الخضار**(عاش إلى حدود السبعمائة).[54]

وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه العدل الثبت، والحاج المحدث الفقيه الفريد.[55] وكان ابن الخضار هذا عارفا بعلوم الحديث، لأنه لقي بدمشق سنة 634هـ أشهر من عرف بذلك، كابن الصلاح وغيره[56].

وكان من مصادر ابن رشيد في كتابه "إفادة النصيح"، وفي "ملء العيبة". ومما أفاده به، قراءته وسماعه كتاب "معرفة علوم الحديث" على مؤلفه ابن الصلاح، وهو من أجل المصنفات التي اعتمدها ابن رشيد في الرحلة.[57]

الفرع الثالث: جهود ابن رشيد في خدمة الحديث رواية ودراية:

اتفقت كلمة الذين ترجموا له على الإشادة بعلمه ومعرفته بقضايا علم الحديث، وقلَّ أن يذكره أحد من غير أن يضيف إليه وصفا من ألقاب المحدثين واصطلاحاتهم، كالمسنِد والمحدث والحافظ؛ واستحقاقه لهذه الألقاب كان نتيجة للجهود العظيمة التي بذلها في طلب الحديث وعلومه. وحتى في رحلته (ملء العيبة) كانت الصبغة الحديثية هي الغالبة عليها.[58]

---

[52] انظر: رحلة ابن رشيد، 277/1.

[53] نفسه، 54/1.

[54] الأنساب، لعبد الكريم التميمي السمعاني المروزي، 154/5.

[55] - إفادة النصيح، ص: 104،198

[56] - الأنساب، لعبد الكريم المروزي، 154/5.

[57] - رحلة ابن رشيد، 278/1.

[58] - عَدَّ الأستاذ الحدادي فيما وصله منها من أجزاء أكثر من 320 حديثا، رواها ابن رشيد من شيوخه بمختلف طرق التحمل، يتحرى في كل ذلك التدقيق والضبط. (انظر: رحلة ابن رشيد، 100/1).

قال القاضي أبو البركات ابن الحاج (ت 773هـ): "ابن رشيد ثقة عدل من أهل هذا الشأن المتحققين به، ... وأعظم عنايته بعلم الحديث: متنه وسنده ومعرفة رجاله، ولذلك كان جل اشتغاله، وفيه عظم احتماله، حتى حصل منه على غاية قصده ومنتهى آماله".[59]

وقال لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ): "الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد، كان رحمه الله فريد دهره عدالة، وجلالة، وحفظا وأدبا، وسمتا وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها، بصيرا بها، محققا فيها، ذاكرا فيها للرجال..."[60].

أولا: جهوده في علم الحديث رواية:

حرصه على لقاء الشيوخ والأخذ عنهم:

أتاحت له رحلته الاتصال بكبار المحدثين والمسندين، فكان يستجيزهم، ويسمع منهم، ويقرأ عليهم، ويأخذ منهم بمختلف طرق التحمل. وكان حرصه شديدا على لقاء العلماء والأخذ عنهم. فربما كان هذا هو مقصوده في رحلته المشرقية.

فكان يطرق عليهم منازلهم ومدارسهم ودكاكينهم ويجالسهم. يقول عن شيخه أبي محمد عبد الواحد بن علي الكافوري: "قصدته بمنزله بالوضع المعروف بالحكر بظاهر القاهرة"،[61] وكذلك الشأن بالنسبة لشيخه جمال الدين بن الظاهري، وابن الجميزي،[62] كما اقتحم عددا من المدارس للأخذ عن شيوخها، كالمدرسة الفاضلية، والصالحية، والظاهرية، والكاملية، وفي تونس سمع على شيخه ابن زيتون بمدرسة الشماعين؛ ولم يقتصر على ترصدهم في الجوامع والمدارس، بل بلغ الأمر إلى أن سمع من بعض أهل العلم بالطرقات.[63]

---

[59] - أزهار الرياض، 348/2.

[60] الإحاطة في أخبار غرناطة، 102/3.

[61] ملء العيبة، 355/3.

[62] الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، لعبد اللطيف الجيلاني، ص: 371.

[63] نفسه، ص: 371.

وكان شديد التحسر حين لا ينال بغيته من السماع من بعض الشيوخ بسبب عائق أو نسيان أو عذر؛ ومن ذلك قوله عند ذكره ما فاته من سماع كتاب الاعتبار للحازمي على شيخه التقي عبيد: "ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن".[64]

ولا يكتفي بالسماع، بل يحرص على توثيق تلك المجالس عبر استدعاء[65] يقدمه للشيخ، فيجيزه الشيخ مذيلا ذلك بخطه، وتجده كذلك لا يكتفي بإدراج اسمه فقط؛ بل يشرك معه الحاضرين ممن صحبوه في الرحلة، والغائبين ممن قصرت بهم النفقة، والصغار والولدان ممن يرجو لهم صالح الأثر.[66]

يقول مثلا في استدعائه الصغير. يقول فيه: "فصل، من وقف على هذا الاستدعاء من علماء الآثار، الذين شهدت لهم بدوام الظهور على الحق صحيحات الآثار، كفيل بأن يُجيز جميع مروياته ومنقولاته ومقولاته ومصنفاته: للفقيه الصّدر أبي علي بن رَشيق، والفقيه الكاتب أبي عبد الله ابن الدّرّاج، والفقيه الفاضل أبي القاسم ابن الشاط، والفقيه المصنف أبي عبد الله ابن عبد الملك، وابنه أبي القاسم، والفقيه الصوفي أبي عبد الله ابن قطرال، وأخيه النشأة الصالحة محمد، وللفقيه المقرئ أبي عبد الله السلوي، وللفقيه أبي عبد الله الغماري، وللفقيه الأديب أبي الحجاج الطُّرْطُوشي، وللفقيهين الفاضلين، أبي محمد عبد المهيمن بن علي بن حرز الله، وأخيه أبي عبد الله، ولكاتب الأحرف محمد بن عمر بن رُشيد، ولبنيه وفقهم الله، أبي القاسم محمد، وأم السعد عائشة، وأم المجد أمة الله، ولأخواته عائشة، وفاطمة، ورحمة، ولقريبيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن رُشيد، ومحمد بن رُشيد بن موسى. والله تعالى يُبقيهم للفضائل أهلا، ناظمين لكل طالب حاجة بمطلوبه شملا، والسلام الأتم يعتمد من وقف عليه ورحمة الله تعالى وبركاته"[67].

---

[64] الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، ص: 372.

[65] - الاستدعاء في اصطلاح المحدثين: ورقةٌ أو أوراق ترسل أو تدفع إلى بعض المحدثين أو المسنِدين أو المؤلفين، بأسلوب رفيق رشيق والتماس مؤدب رقيق، في أن يرسِل إليه من وُجِّه إليه ذلك المكتوب إجازةً خطية منه، بمروياته أو مؤلفاته أو بعضها، لنفسه، أو لغيره، أو له ولغيره معاً. [انظر: ملء العيبة 417/2].

[66] - ابن رشيد وتمكنه من علوم الإسناد، لبدر العمراني، (بحث منشور بجريدة ميثاق الرابطة، وهي جريدة إلكترونية أسبوعية تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، عدد: 11، بتاريخ 2010/11/26).

[67] - استدعاءات الإجازة لابن رشيد، 341-343؛ الاستدعاء الصغير لابن رشيد، (ملحق بآخر الجزء الثاني من ملء العيبة)، 417/2.

وكان ابن رشيد وهو يأخذ عن شيوخه، يسعى إلى أن يحيط بكل ما ترجى منه فائدة علمية سواء، تم ذلك بالتردد على حلقات شيوخ الحديث أو منازلهم، أو بتدوين المجموعات الحديثية، والمصنفات المسموعة، أو المقروءة على طبقة العلماء الذين اتصل بهم، لكن حرصه على التحمل والنقل الواسعين لم يحولا دون إعماله لأسلوب المفاضلة بين الشيوخ، ومصادر المعرفة الشرعية والترجيح بينها، على أساس الانضباط الخلقي والكفاءة العلمية لدى الشيوخ، والإفادة والإبداع في الكتب والدواوين.[68]

عنايته بالإسناد والمسندين:

ضبط الأسانيد وأسماء الرواة وأنسابها:

من ذلك قوله في ترجمة شيخه أبي الحسن علي بن أحمد الغرافي: "... يعرف بالغرافي، بغين معجمة مفتوحة، وراء مشددة بعدها ألف بعدها فاء، بعدها ياء النسب، والغراف نهر بالعراق من أعمال واسط"[69].

ومن ذلك أيضا ما ذكره في "إفادة النصيح"، وهو يترجم لشيخه أبي محمد الحَمُّويي، حيث يقول: "عبد الله بن أحمد بن حَمُّويَه بن أحمد بن يوسف بن أعين السرخسي، يكنى أبا محمد، ... وتقييده بحاء مهملة بعدها ميم مضمومة مشددة، بعدها واو ساكنة، بعدها أختها مفتوحة، بعدها هاء ساكنة. وقد خطه غير واحد من أعلام الأندلسيين بتاء تأنيث مفتوحة، وليسوا حجة في ذلك، والمشرقيون أعرف بأهل بلادهم. وأرى أنه يجري فيها من التعريب ما في نظائره من عَمْرويْه ونَفْطَويْه، ففتح ميمه مشددة، وتفتح واوه مخففة، وتسكن ياؤه. إلا أني لم أسمع أحدا من أشياخنا المحدثين يقوله معربا، بل يبقيه على عجمته"[70].

ومن ذلك أيضا ضبطه لاسم "الفربري"، حين قال في (إفادة النصيح) أثناء سرده لسند الجامع الصحيح: "واختلف الرواة في ضبط فائها بين الفتح والكسر. والأصحّ الفتح بلدا ونسبا. ومن ينحو به نحو الأسماء العربية يكسر بلدا ونسبا. ولم يصب من قال: إن

---

[68] انظر: منهج ابن رشيد السبتي في الدراسات الحديثية من خلال رحلته، لإدريس الخرشافي، (بحث منشور في مجلة دعوة الحق، السنة: 36، العدد: 315، 1995)، ص: 70.

[69] ملء العيبة، 53/3.

[70] إفادة النصيح، ص: 29.

الفتح في النسب من تغيير النسبة؛ بل النسب بالفتح إلى المفتوح وبالكسر إلى المكسور عند من عربه. وبالفتح ضبطه خطا الرواة الدراة؛ وبالفتح وجدته مقصودا في البلد والنسب في صدر كتاب البخاري في النسخة العتيقة التي كتبت بمكة . شرفها الله . وقرئت وسمعت على أبي ذر، وعليها خطه. وكذلك وجدته في غير موضع بخط متقن الأندلسيين غير مدافع في زمانه: أبي بكر ابن خير رحمه الله. وكتب عليه صح صح على النسب والبلد. وقد وجدته بخطه في بعض المواضع بالكسر غير مصحح عليه".[71]

ولم تكن عناية ابن رشيد بضبط أسماء الرواة فحسب، بل كان أيضا يدقق في تاريخ الرواية.

من ذلك ما ورد له في سند شيخه تاج الدين أبي الحسن الغرافي فيما أخبر به أبو عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري.... وذلك في سماع ثلاثيات البخاري[72]. فرد عليه ابن رشيد بقوله: "قلت: قوله سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، غلط، وإنما هو سنة إحدى وثمانين. دل عليه غير واحد، ومنهم أبو بكر بن نقطة البغدادي"[73].

حرصه على طلب العلو في الإسناد[74]:

لم يكن ولع ابن رشيد بالقرب من رسول الله ﷺ وحرصه على تحقيق الأغراض السابقة، يجعله يفزع إلى تدوين كل إسناد يصل إليه، بل إن معرفته بعلم الحديث جعلته على دراية واسعة بأهمية تحصيل العلو في السند، وبالتالي فلا غرابة أن نجده يلهج بالعلو ويحرص أشد الحرص على بيانه والتمييز بين أنواعه. لذلك كان للعلو منزلة رفيعة عنده، إذ يقول معبرا عن ذلك: "... وإن القرب رتبة لا يدركها إلا من اختصه الله من السعداء، وفضله بالرحلة الوافرة والمشيخة الظافرة".[75]

---

[71] إفادة النصيح، ص: 11-12.

[72] ثلاثيات البخاري: هي الأحاديث التي يقع فيها بين رسول الله ﷺ وبين الإمام البخاري ثلاثة أشخاص فقط. والثلاثيات: من أجلّ أنواع علو السند، وهو ما يُعرف بالعلو المطلق: أي القرب من النبي ﷺ بسند متصل صحيح. وتنحصر ثلاثيات البخاري في اثنين وعشرين حديثا. وعليها شرح لطيف، لمحمد شاه بن حاج حسن.المتوفى: سنة 939هـ [انظر: كشف الظنون، 522/1].

[73] رحلة ابن رشيد، 110/2.

[74] يقصد بالإسناد العالي: السند الذي قل عدد رواته بالنسبة إلى سندٍ آخر يَرِدُ به ذلك الحديث بعدد أكثر. وضده: الإسناد النازل: وهو الذي كَثُر عدد رواته بالنسبة إلى سند آخر يَرِدُ به ذلك الحديث بعدد أقل. [انظر" اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ص: 159].

[75] الإعلام بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام، (مخطوط) نقلا عن: الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، ص:376.

وربما كان مقصوده من رحلته المشرقية، -بالإضافة إلى لقاء الشيوخ وجمع الروايات- طلب علو الإسناد، لأن جل بلدان المشرق كانت تحتضن أشهر المحدثين آنذاك، أواخر القرن السابع والقرن الثامن الهجريين.

وقد عمد إلى ذكر أحاديث عالية عن شيوخه المترجمين بعد إيرادها نازلة عن غيرهم، تبيانا منه لثمرات رحلته، وحرصه على القرب ما أمكن من رسول الله ﷺ .وتتميز ألفاظ الأحاديث التي أوردها بسنده بتغير في بعض الألفاظ مقارنة بنظائرها الواردة في أمهات كتب السنة، ويمكن اعتبار ذلك، طرقا وروايات جديدة للنصوص والأمهات، وإمعانا في تقويتها وتوثيقها.

ومن أمثلة ذلك حديث: "إن الحلال بين وإن الحرام بين ..." الذي ساقه من روايته عن شيوخه، ثم ساق نص الحديث نفسه كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ثم خلُص في آخره إلى المقابلة بين الأسانيد.[76]

ومن أمعن النظر في مصنفات ابن رشيد ک (ملء العيبة) أو (إفادة النصيح)، يلاحظ إشارته كثيرا إلى خاصية العلو الواقع في السند، تارة بشكل مجمل، كقوله: "وقع عاليا"[77]، أو "عال"[78]، أو "عال جدا"[79]، أو "عال صحيح"[80]؛ وأحيانا يفصِّل ما ورد في الإسناد من مراتب العلو. من أمثلة ذلك: حديث عبد الله بن عمر: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء وهبته"[81]، فقد أورده في كتابه "الإعلام" من طريق الإمام أحمد بن حنبل، ثم قال: "صحيح متصل بالتحديث كله، عالٍ من حديث الإمام، إمام الدنيا أبي عبد الله بن حنبل، ووقع له ثلاثيا في مسنده الكبير، ... والثلاثي أعلى ما عنده، وله نظائر في مسنده، وقد اجتمعت في هذا الحديث ثلاث مراتب من العلو:

---

[76] انظر: ملء العيبة، 2/174-177.

[77] نفسه، 5/238؛ 244.

[78] نفسه، 5/23.

[79] نفسه، 5/238.

[80] نفسه، 3/146.

[81] أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب بيع الولاء وهبته، حديث رقم: 2535، ومسلم، كتاب العتق، باب النهي عن بيع الولاء وهبته، حديث رقم: 3861.

أُولاَها وأوْلاها إلى التعرف: القرب من رسول الله ﷺ بطريق صحيح، وفي مثلها فليتنافس المتنافسون. **الثانية**: وهي القرب من إمام مشهور. **الثالثة**: القرب من كتاب مشهور"[82].

ومن خلال تتبع بعض آثاره، يتبين أنه كان يرمي وراء هذه العناية بالإسناد إلى تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف، منها:

- نيل شرف الاتصال والقرب بأشرف الخلق محمد ﷺ.

ففي كتابه الأربعين البلدانية المسمى: "الإعلام، بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام"، صرح بهذا القصد من جمعه لهذه الأحاديث؛ فقال معددا فوائد علو السند: "أولها وأجلها: القرب من رسول الله ﷺ، فالقرب منه قربة وزلفى إلى الله تعالى"[83]. ويقول داعيا: "اللهم اجعل القرب من نبيك قربا وقربة إليك نحظى به لديك يوم القدوم عليك."[84]

- الإسهام في حفظ السنة.

يقول في مقدمة إفادة النصيح: "الحمد لله الذي جعل الإسناد خصوصية لهذه الأمة، وأثارة باقية وجُنة من التقول على نبيه، ﷺ وشرف وكرم واقية، واختار له من ورثة نبيه ﷺ عصابة أولي عدد وذوي عُدد للتحريف عنه نافية، وبالذب عن حوزته وافية، وللأدواء الطارئة شافية كافية، وجعلهم الورثة الذين لا يُسقطهم ولا ينقصهم الحَجْب، ولا تُغَلّق دونهم الأبواب ولا تُلَطّ الحُجب، وفضلهم على الخلفاء بما اختصهم به من مُجاب دعوته، ووصفهم بأنهم الذين يُحيون ما أمات الناس من سُنته. فهم أولى المومنين به لاتصال سببهم بسببه، سلسلة إسناد، أسلحة أنجاد، صفوة أمجاد، يحمون حمى الدين، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كما أخبر عنهم سيد المرسلين"[85].

- بيان شرف الإسناد وتحفيز الهمم إلى الاعتناء به.

---

[82] الإعلام بأربعين عن أربعين من الشيوخ الأعلام، (مخطوط) نقلا عن: الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، ص:384.

[83] نفسه، ص: 376.

[84] - نفسه، ص:376.

[85] إفادة النصيح، ص: 1.

من ذلك ما قاله في إفادة النصيح عند ذكر قول عبد الله بن المبارك: "(الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لأكثر المارقون الاختلاق والإنشاء، وقال كل منهم مفتريا ما شاء): فَحُلِّئَتْ عن وِرْد نميره نَقَصَةُ الأغمار الأغبياء، وحُلّيت بلؤلؤه كَمَلَة الأقمار العلماء، فَبَدار يا ذوي الهمم العليّة إلى الارتفاع لمنازلهم بَدار، وحَذار من الانخفاض عنها حَذار. فَيا رِيَّ المجتهد، ويا ظمأ المقلد"[86].

ثانيا: طرق التحمل وصيغ الأداء عند ابن رشيد:

أ. **طرق التحمل[87]:**

بعدما ذكرت الحرص الشديد لابن رشيد على لقاء العلماء والحفاظ والأخذ عنهم، ومجالستهم، وما تحمّله في سبيل ذلك من مشاق، وذلك من أجل أن يحمل عنهم كل ما فيه فائدة علمية بكل السبل؛ أقف هنا عند بيان مختلف طرق التحمل التي كان يعتمدها في الأخذ عنهم.

1. **السماع:** ورتبته هي أعلى أقسام طرق التحمل وأرفعها عند الجمهور.[88] وقد تحمل ابن رشيد بالسماع عن بعض شيوخه[89]، إلا أنه في غالب رحلته لم يتحمل بطريق السماع إلا قليلا، بسبب ما أملته عليه ظروف السفر والترحال المستمرين، فما كان بوسعه أن يلازم جميع شيوخه ملازمة يحصل له بواسطتها النقل عنهم، سماعا، إلا أن الظاهر مما رواه سماعا أنه كان يراعي آداب السماع، ويتجنب ما يخل بصحته.

---

[86] نفسه، ص: 3.

[87] المراد بـ "طرق التحمل" هيئات أخذ الحديث، وتلقيه عن الشيوخ. وطرق تحمل الحديث ثمانية، وهي: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة على الشيخ، والإجازة، والمناولة، والكتابة، والإعلام، والوصية، والوجادة. وجميع الصور الثمان التي اصطلح عليها المُحَدِّثُونَ لبيان طريقة التحمل تصلح لتصوير حالات الأداء، والأداء هو رواية الحديث للتلميذ، والمؤدي إلى من دونه كان متحملاً حديث من هو فوقه، فالشخص الواحد يكون في الوقت نفسه متحملاً ومؤديًا، باعتبار الشيخ مَرَّةً والتلميذ مَرَّةً أخرى. [انظر تعريف هذه المصطلحات وتفصيل القول فيها في: "علوم الحديث ومصطلحه: عرضٌ ودراسة"، لصبحي الصالح، ص: 84-104].

[88] انظر: الإلماع، 1379هـ/1970م)، ص: 69.

[89] انظر: ملء العيبة 346/2، 66/5، 130.

ومن أمثلة ما رواه عن طريق السماع: حديث "مسلسل الدعاء في التسليم"[90].

القراءة: من نظر في مرويات ابن رشيد في مختلف تصانيفه يلحظ كثرة تحمله من هذا الطريق، سواء هو الذي كان يتولى القراءة بنفسه على الشيخ، أو يسمع عليه بقراءة غيره: فمثال الأول ما ورد عنده في حديث "مسلسل الجبن والجوز"، حيث يقول: "سمعت بقراءتي على أبي محمد قال: سمعت أبا بكر بن مسدي قال..."[91].

ومثال الثاني: ما ورد في "مسلسل أول حديث سمعته"،[92] حيث قال: "قرئ وأنا أسمع، على الشيخين الفقيه الإمام مفتي الحرم رضي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي، وأخيه علم الدين أبي الفضل أحمد بن أبي بكر، وهو أول حديث سمعته عليهما بمكة"[93].

الإجازة: لقد جنح ابن رشيد كثيرا إلى التحمل عن طريق الإجازة، بسبب تعذر سماعه أو قراءته لجميع مرويات شيوخه من الكتب والمصنفات وغيرها في رحلة كان القصد الأساسي منها هو حج بيت الله الحرام. فكان يحمل ما تيسر له عن طريق السماع والقراءة، ثم يحمل عنهم ما تبقى عن طريق الإجازة، حتى يتحقق له اتصال السند فيما يتحمله من مرويات ومصنفات.[94]

وقد نبه على روايته بالاستدعاء في غير ما موضع من رحلته، ومن أبرز هذه الاستدعاءات: الاستدعاء الصغير[95]، والاستدعاء الكبير[96].

---

[90] يقول ابن رشيد: "الحمد لله، سمعت شيخنا الإمام الصدر مفتي الحرم الشريف رضي الدين أبا عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي، بداره بالحرم الشريف، في ذي حجة موسم عام أربعة وثمانين وست مائة يقول: سمعت أبا المكارم ابن مسدي، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البلنسي بالمرية من بلاد الأندلس يقول: سمعت أبا طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، يقول: سمعت أبا الفتح ازديار بن مسعود الغرنوي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان، يقول: سمعت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي، بجرجان يقول: سمعت أبا القاسم بن عبيد الله بن محمد بن خلف، البزاز، بمصر يقول: سمعت محمد بن الحسن الأنصاري، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إدريس المكي، يقول: سمعت عبد الله بن الزبير الحميدي، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: سمعت عمرو بن دينار، يقول: سمعت ابن عباس، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: "الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها". (ملء العيبة، 142/5).

[91] ملء العيبة، 352/2.

[92] هكذا ورد عنده بهذا الاسم. وهذا مسلسل معروف عند المحدثين بـ"المسلسل بالأولية" أو"مسلسل حديث الرحمة".

[93] ملء العيبة، 131/5-132.

[94] الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، ص:405.

[95] طبع ملحقا في آخر الجزء الثاني من رحلته "ملء العيبة"، ص: 417.

[96] طبع ملحقا في آخر الجزء الثالث من رحلته "ملء العيبة"، ص: 463.

كما ذكر في رحلته جملة ممن لقيهم وأجازوه إجازة عامة. فقال: "وممن لقيته وأجازني الإجازة العامة:

- القاضي أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن.
- والقاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمي الباجي.
- والقاضي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف الأنصاري هو ابن المواق.
- وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن مع النصر بن إبراهيم المومناني.
- والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن دادوش التميمي.
- وأبو الحسن علي بن عبد الصمد بن علي بن محمد بن سعيد الأنصاري ابن الجنان.
- وأبو العباس أحمد بن محمد الكناني.
- وأبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الحضرمي.
- وأبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد بن مروان بن فهر اللخمي ابن القانة"[97].

وقد ذكر في موضع آخر حوالي اثنين وعشرين من شيوخه ممن أجازوه إجازة عامة من غير أن يلقاهم.[98]

المناولة: إن أغلب ما رواه ابن رشيد عن طريق المناولة، هو من أعلاها درجة، وهي المناولة المقرونة بالإجازة.

ومما رواه عن طريق المناولة: كتاب "التكملة في وفيات النقلة" عن شيخه جمال الدين، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن درادة القرشي. إذ يقول في ترجمته: "ناوله لي جمال الدين المذكور في النسخة التي بخطه، وقال: اروه عني بحق إملاء مؤلفه علي. وكانت مناولته لي الكتاب المذكور في الثالث والعشرين لرجب عام أربعة وثمانين وستمائة بمسجده بالقاهرة المعزية"[99].

[97] ملء العيبة. 2/133-135.

[98] نفسه، 2/135-139.

[99] ملء العيبة، 3/391.

المكاتبة: لقد أورد ابن رشيد في رحلته كثيرا من الروايات التي تحمَّلها مكاتبة، كما كان يعتمد هذا الطريق لضبط تواريخ مواليد طائفة من شيوخه.

فمن الأول قوله: "وفيما كتب لنا به شيخنا إمام المقام أبو أحمد وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي، من مكة شرفها الله مما قال في فهرسة روايته، قال رحمة الله ما نصه: سند المسند لأبي حاتم بن حبان: أخبرني به شرف الدين محمد بن أبي الفضل السلمي قراءة عليه وأنا أسمع تجاه الكعبة المعظمة سنة أربع وأربعين وست مائة".[100]

ومن الثاني: قوله في ترجمته لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن الرشيد السعدي الشافعي: "كتب لي مولدَه. قال: سنة ثمان وستمائة"[101].

وقوله أيضا في ترجمة أبي العز، عبد العزيز بن عبد المنعم الحرتني: "مولده فيما كتبه لي بخطه سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وكان مولده ببغداد"[102].

الوِجادة: لقد صرح ابن رشيد في غير ما موضع من رحلتهأنه اعتمد الرواية عن طريق الوجادة. من ذلك ما أورده في ترجمة شيخه محب الدين الطبري، حيث قال: "وجادة: قرأت بخط المحدث الرحال أبي إسحاق البلفيقي رحمه الله ما نصه: صاحبنا محب الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الله المكي الطبري، مدرس بالمدرسة الشافعية، عاكف على مذهب الشافعي"[103].

ولم أقف لابن رشيد فيما اطلعت عليه من آثاره، ومن الدراسات التي أقيمت حوله، أنه تحمل عن طريق الإعلام أو الوصية.

صيغ الأداء:

أما صيغ الأداء عند ابن رشيد، فقد سبق القول، إن جميع الصور الثمان التي اصطلح عليها المُحَدِّثُونَ لبيان طريقة التحمل تصلح لتصوير حالات الأداء، فالشخص الواحد يكون في الوقت نفسه متحملاً ومؤديًا، باعتبار الشيخ مَرَّةً والتلميذ مَرَّةً أخرى.

---

[100] ملء العيبة، 192/5؛ 228/5.

[101] نفسه، 301/3.

[102] نفسه، 345/3.

[103] ملء العيبة، 248/5.

وبالتالي فنفس الطرق التي تحمل من خلالها، اعتمدها في أدائه لمروياته. كما حرص في أدائه على بيان الألفاظ التي تحيل إلى طريقة التحمل عنده. وهي في الوقت نفسه تعتبر أداء منه لمن يرويها من تلامذته.

وسأكتفي بإيراد أمثلة لها في مظانها عنده.

1. **السماع:** وقد نبه على تحمله سماعا بألفاظ مختلفة، منها: "سمعت[104]" و"أخبرنا"، و"أخبرنا فلان سماعا عليه".[105]
2. **القراءة:** ويعبر عن ذلك بألفاظ عدة، منها: "قرأت على فلان"،[106]و"قُرئ على فلان وأنا أسمع"،[107] و"أخبرنا فلان قراءة عليه"،[108] و"أخبرنا فلان قراءة عليه وأنا أسمع"[109]...
3. **الإجازة:** وتختلف عنده ألفاظ التعبير عليها، من ذلك قوله: "وهو لي منه إجازة"،[110] و"مما أجازه لنا [أو] لي"،[111] و"كتبه لي [أو] بخطه"،[112] و"وأخبرنا فلان إذنا".[113]
4. **المناولة**: ومن ألفاظه الدالة على تحمله به: "مناولة"،[114] و"ناوله لي".[115]
5. **المكاتبة**: من الألفاظ التي أوردها ابن رشيد للتنبه على تحمله بها: "فيما كتبه لنا"،[116] و"كتب لنا به"،[117] و" كتب لي بخطه"،[118] و"كتب لي عنه فلان".[119]

---

[104] ملء العيبة، 5/66، 141.

[105] نفسه، 5/320، 386.

[106] ملء العيبة، 5/66، 183،

[107] نفسه، 5/23، 26، 131.

[108] ملء العيبة، 5/160.

[109] نفسه، 5/172.

[110] ملء العيبة، 5/ 168، 193.

[111] نفسه، 5/ 200،206، 242.

[112] نفسه، 5/ 166،167، 186

[113] نفسه، 5/10،190.67.

[114] نفسه، 5/171.

[115] نفسه، 3/391.

[116] نفسه، 5/229

[117] نفسه، 5/192.

[118] نفسه، 5/346.

[119] نفسه، 5/353.

6. **الوجادة**: لقد حرص ابن رشيد على أن يعبر بالألفاظ التي تشعر عن تحمله وجادة. من ذلك: "وجادة قرأت بخط فلان"،[120] و"وقفت عليه وعليه خطه"،[121] و"نقلت من خط فلان".[122]

وتجدر الإشارة إلى أن نسبته الخط إلى صاحبه، يدل على تأكده من ذلك. إذ يُعتبر الاستيثاق من الخط ونسبته إلى صاحبه عند المحدثين، من الشروط الضرورية للتعبير بالألفاظ السابقة.

وعموما فإننا نستنتج عند النظر في صيغ التحمل والأداء عند ابن رشيد أنه كان شديد الحرص على ضبط سماعاته، وتوثيق مروياته عن شيوخه، مع التزامه بالأمانة العلمية في ذلك، بإشارته إلى ما عرض له من هنات وشكوك أثناء تحمله، إبراء لذمته العلمية، وتقديرا لجسامة مسؤولية حفظ السنة من التحريف والتزوير.

ثالثا: النقد الحديثي عند ابن رشيد:

لم يكتف ابن رشيد بما بذله من جهد في لقائه بالشيوخ، وضبط الأسانيد، وتوثيق الروايات، وتحصيل المصنفات، والالتزام بأمانة النقل تحملا وأداء؛ بل كان في مرحلة أخرى يُخضع كل ذلك لمعايير النقد الحديثي ومقاييسه؛ فلم يكن يمر به حديث به انقطاع أو علة أو تحريف لمتن أو إسناد، أو غلط من شيوخه، إلا ويقف عنده، وينبه على وجه الصواب فيه، مقارنا محتجا برواية غيره ممن أخذ عنه لنفس الحديث.

وسأقف عند نقاط ثلاث تَبرُز فيها معالم المنهج النقدي الذي مارسه ابن رشيد على مروياته.

ب. نقده للعلل الواقعة في الأسانيد والمتون وتصحيحها:

لقد نبه إلى أن في رحلته "أسانيد ومتونا، إن علم فيها وجه الصواب أوضحه وأقام صوابه ونبه على أنه أصلحه"[123].

فمن نماذج نقده للعلل الواقعة في الأسانيد: انتقاده لحديث "مسلسل يوم العيد"، الذي قرأه على شيخه أبي القاسم بن عساكر الدمشقي، حيث يقول: "ومما سمعته عليه قراءة عليه بمنى: جزء فيه مسلسل يوم العيد ... عن شيوخه إلى ابن عباس قال:

---

[120] نفسه، 248/5.

[121] نفسه، 224/5، 226.

[122] -نفسه، 183/5، 218.

[123] انظر: رحلة ابن رشيد، 100/1.

(شهدنا مع رسول الله ﷺ فطرا أو أضحى، فلما صلى، قال: قد أصبتم خيرا، فمن أحب أن يقعد فليقعد، ومن أحب أن ينصرف فلينصرف).[124] قال الإمام أبو القاسم مصنفه: كذا في هذه الرواية وفيها خلل عند أهل الدراية"[125]. ... وأبو الحسن الميداني من المحدثين الأيقاظ، وعبد العزيز الكتاني يعد في جملة الحفاظ، وشيخنا من أعيان علماء الإسلام، وأعلم من لقيت بالشام، فكيف استمر خفاء الوهم على ثلاثة من أهل العلم فلم يوضحوه للناقلين عنهم، ولا نبه على الصواب واحد فهم وفي الحديث وهْمٌ شنيع، وغلط ظاهر فظيع، لا يخفى على الحفاظ النقاد، والذين لهم بصر بعلم الإسناد؛ وهو أن شيخ أبي جعفر القصير الراوي عن بشر بن عبد الوهاب بن بشير الذي ذكر في هذه الرواية بالتباس هو أحمد بن محمد بن فراس ابن أخت سليمان بن حرب لا ابن أخيه، يعلم ذلك كل من يقرأ حديثه ويرويه، وسأورده من طرقه كما ذكرت ليظهر مصداق ما أخبرت"[126].

ثم ساق الحديث بسنده كاملا، وقال في آخره: "هذا الذي أوردته هو صدر الجزء، ثم استمر في إيراد طرق الحديث أحسن إيراد، وبين ما وقع له فيه من عالي إسناد، والجزء عندنا بكماله معارض مسموع والحمد لله حق حمده".[127]

ومن نماذج نقده لعلل المتون: انتقاده لما روته فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام، زوج هشام ابن عروة، تابعية ثقة مدنية، حدثنا زوجها عن أسماء جدتها، أنها جاءت رسول الله ﷺ، فقالت أسماء: قال رسول الله ﷺ: "لعن الله الواصلة والمستوصلة".[128]

يقول ابن رشيد منتقدا: "هكذا وقع في الحديث في الأصل مختصر، وقوله فيه: أن أسماء جاءت رسول الله ﷺ، المعرف فيه، أن امرأة جاءت، وإنما أسماء راوية القصة، لا صاحبة السؤال. والله أعلم"[129].

---

[124] ورد نص الحديث بألفاظ وصيغ مختلفة. رواه النسائي في السنن الصغرى، كتاب صلاة العيدين، باب الخطبة في العيدين بعد الصلاة، فصل التخيير بين الجلوس في الخطبة للعيدين. حديث رقم: 1571.قال الألباني: حديث صحيح؛ ورواه البيهقي، كتاب صلاة العيدين، باب الاستماع للخطبة في العيدين، بثلاث صيغ مختلفة.

[125] -ملء العيبة، 160/5.

[126] نفسه، 160/5، 161.

[127] نفسه، 160/5، 161.

[128] رواه البخاري، كتاب اللباس، باب المستوشمة؛ ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.

[129] ملء العيبة، 401/3.

- **نقده للأحاديث تصحيحا وتضعيفا:**

إن من نتائج ما بلغه ابن رشيد من درجات في علم الحديث في مختلف فروعه، وصولَه إلى مرتبةٍ تُمكِّنه من الحكم على مروياته الحديثية تصحيحا وتضعيفا.

ومن بين النصوص الحديثية التي انتهى إلى القول بضعفها: نصوص ساقها في ترجمة شيخه الغرافي المتقدم، خرجها ابن محمد ابن عتاب، وأخذها عنه أبو القاسم ابن بشكوال، وبعد وقوفه على مكامن العلل فيها خلص إلى القول: "قلت: أكثر هذه الأحاديث التي أوردها ابن بشكوال المخرجة لأبي محمد ضعيفة، وبعضها لا يعرج عليه، وإن صح بعضها فمن طرق أخرى غير هذه، وكثيرا ما لهج الناس بهذه العوالي، وهي في الحقيقة نوازل".[130]

- **نقده للرجال، وممارسته للجرح والعديل.**

من مناقشاته في تجريح بعض الرواة، ما ورد له عند ذكره حديث: "أحبب حبيبك هونا ما" الذي أورده بالإسناد إلى ابن بشكوال عن ابن عتاب عن أبي عمرو عثمان بن أبي بكر عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر المفيد، سمع أبا الدنيا عثمان بن عبد الله بن عوام سمع أمير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما"[131].

وقد وقف ابن رشيد عند واحد ممن ورد في سند هذا الحديث، وهو أبو الدنيا الذي اختلف فيه أهل الجرح والتعديل، فأراد ابن رشيد أن يكشف حاله ويبين درجته، فقال: "أبو الدنيا هذا: الرواة عنه ثقات، والأسانيد إليه صحيحة لا غبار عليها، وإنما النظر في أمره، وهو ممن اختلف في اسمه وكنيته".[132]

---

[130] ملء العيبة، 3/64-65.

[131] رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الاقتصاد في الحُبّ والبُغْض، من حديث أبي هريرة ﷺ، مرفوعا؛ ورواه البخاري في "الأدب المُفْرد" موقوفا، "باب أحبب حبيبك هونا ما"، من حديث الإمام علي ﷺ. قال الألباني: حسن لغيره موقوفا، وقد صح مرفوعا.

[132] ملء العيبة، 3/14.

ثم ذكر أقوالا عدة في ولادته ووفاته، قال بعدها: "وهذا اختلاف في مولده ووفاته، وما ذكره شيخنا علي بن أبي صالح، من وفاته، مختلف لما ذكره الهجيمي بمدة لا يمكن الغلط فيها، ... وذلك كله ينافي الثقة بأمر هذا الرجل المعمر"[133].

وقد ذكر صاحب -أزهار الرياض- أن ابن رشيد أورده فيمن لا يعتد بروايته ولا يعرج عليه"[134].

ويعتمد ابن رشيد في كثير من الموارد عنده في مسألة التجريح على حكم من تقدمه في ذلك من أئمة هذا الشأن، من ذلك قوله بعد إيراد حديث من طريق شيخه ابن الأنماطي، وفي سنده ابن أبي الأخضر الراوي عن الزهري"، إذ يقول: "وابن أبي الأخضر هو صالح بن أبي الأخضر، مولى هشام بن عبد الله، ضعيف، ضعفه أحمد، ويحيى، وأبو زرعة، والنسائي وغيرهم، وأمثل ما فيه قول البخاري: ليّن"[135].

ولم يقتصر نقد ابن رشيد لرجال السند فحسب، وإنما كان يُعمل منهج الجرح والتعديل حتى في شيوخه، فكان يختار من يأخذ عنهم ويترك آخرين، وفق قواعد هذا العلم. فمن الشيوخ الذين انتقدهم ولم يأخذ عنهم بسبب سلوكهم: ابن ساطر البوني بالإسكندرية، بالرغم من تعدد شيوخه، وأسمعته وإجازاته، إلا أنه لم يسمع منه إلا حديثا واحدا من الأربعين البلدانية للحافظ السلفي، وهو حديث عائشة ﵂، قالت: "كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد"[136]؛ قال ابن رشيد معللا عدم أخذه عليه: "كان في أخلاقه سكاكة وكبر وعدم فهم، لهذا لم أقرأ عليه غير هذا الحديث زهدا فيه"[137].

---

[133] نفسه، 14/3.

[134] أزهار الرياض، 354/2.

[135] ملء العيبة، 146/3.

[136] متفق عليه، رواه البخاري في كِتَابُ الغُسْلِ، باب غسل الرجل مع امرأته، حديث رقم: 250؛ ومسلم، في كتاب الحيض، باب اغتسال الرجل وزوجته من إناء واحد، حديث رقم: 321.

[137] -ملء العيبة، 11/3.

رابعا: تآليفه في الحديث وعلومه:

لقد صنف ابن رشيد تصانيف كثيرة ومتنوعة، شملت مختلف العلوم، في الحديث، والعقيدة، والأحكام، والأدب، والبلاغة، والنقد، والفهارس، وغيرها. إلا أن معظمها يتعلق بقضايا الحديث والسنة رواية ودراية. ويغلب على تآليفه طابع الاختصار، سوى رحلته الحافلة، التي تعتبر ديوان علم كبير.

وتعتبر هذه المصنفات من المصادر المهمة التي تطلعنا على ما كانت عليه الحركة الحديثية في المغرب الأقصى عموما، وبثغر سبتة بصفة خاصة، في القرنين السابع والثامن الهجريين.

فمن مؤلفاته في مجال الدراسات الحديثية، والتي وردت في أخبار تراجمه، وفي رحلته، وفي كتب الفهارس، ما يلي:

2. إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح.

كان تحريره لهذا الكتاب بعد عودته من رحلته الطويلة إلى بلده سبتة، وكان فراغه منه في 13 جمادي الأولى سنة 689هـ بثغر سبتة.[138]

أما موضوع الكتاب فهو التعريف بسنده في الجامع الصحيح، الذي يصل فيه بين البخاري وابنه المذكور في حلقات سند متصلة. وقال مصرحا بذلك: "... فرأيت أن أجمع هذا الجزيِّء برسمه، وأسِمَه بوسمه، وأُعرف بني سلسلة إسناده حلقة حلقة"[139].

أما منهجية في هذا الكتاب، -كما ذكر محققه الحبيب بن الخوجة- فقد رتبه ابن رشد إلى مقدمة أو خطبة، وأبواب وفصول، أو حلقات وقرائن، وذيل، أو خاتمة. في المقدمة تعرض لشرف الاسناد، ولعلم الحديث بين القدامى والمحدثين، ولصعوبة هذا العلم، وحظ المشارقة منه وعناية المغاربة به، ووجوب التأدب في طلبه ثم تحدث عن أبرز المسندين بسبتة في عصره.

وجعل كتابة سبعة أبواب أو سبع حلقات، هي الطبقات التي بين الراوي المحدث ومؤلف الجامع الصحيح، مقتصرا في كل طبقة على عدد الرواة، الذين بهم يتصل اسناده ويستقيم طريق روايته.[140]

---

[138] إفادة النصيح. (مقدمة المحقق). ص: كا.

[139] إفادة النصيح. ص:9.

[140] انظر: إفادة النصيح. (مقدمة المحقق). ص: ك

ج. السَّنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن.

موضوع هذا المصنف هو بيان حكم الإسناد المعنعن عند علماء الحديث، وقد تضاربت فيه أقوالهم، واختلفت مذاهبهم. ومن أهم من اختلفت مذاهبهم في ذلك، الإمامين البخاري ومسلم.[141]

فبعد مناقشة ابن رشيد لهذه المسألة مع ابن الشاط السبتي، طلب منه هذا الأخير أن يجليها في كتاب، يعم به النفع ويحصل البيان، فألف رحمه الله هذا الكتاب ليكون حكما بينهما.[142]

وقد انتصر ابن رشيد في هذا التأليف لمذهب البخاري فأظهر قوة حجته، وناقش أدلة الإمام مسلم، وسماها شبها.

د. إيضاح المذاهب في تعيين من ينطبق عليه اسم الصاحب.[143]

هـ. ترجمان التراجم على أبواب البخاري.

وموضوعه: في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري لما تحتها مما ترجمت عليه[144].

وقد اعتمده ابن حجر في شرحه للبخاري، وقال عنه: "مجلّد، يشتمل على هذا الفصل، وصل فيهِ إلى كتاب الصيام، ولو تمّ لكان في غاية الإفادة، وإنّه لكثير الفائدة معَ نقصه".[145]

وقال الكتاني: "أطال فيهِ النفس في إبداء مناسبات تراجم صحيح البخاري".[146]

و. بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله.[147]

---

[141] انظر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، لأبي بكر كافي، ص: 178-179.

[142] السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن، لابن رشيد السبتي، ص: 29-33.

[143] الكتاب في حكم المفقود. وقد نص على تصنيفه له الإمام الصفدي في الوافي بالوفيات، 199/4؛ وجلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ، ص: 529؛ وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس، 444/1.

[144] أزهار الرياض، 350/2.

[145] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، 14/1.

[146] فهرس الفهارس، 444/1.

[147] ظل الكتاب في حكم المفقود إلى أن عثر الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني في مكتبة الاسكوريال تحت رقم: 1680، على قطعة يفترض أنها من كتاب ابن رشيد هذا، وصورها وكتب على واجهتها: "السفر الأول من كتاب: بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله".

هذا الكتاب هو ثمرة من ثمرات حركة نقدية حديثية، كان لها صداها في مجال الدراسات الحديثية، وبرز فيها ابن رشيد كمحدث ناقد، ينبني نقده على معرفة قوية بعلم الرجال والجرح والتعدي، من خلال الموجود في هذا الكتاب، الذي تعقب فيه صاحبه كتاب "بيان الوهم والإيهام" وكتاب "الأحكام الوسطى" لعبد الحق الإشبيلي، (ت582هـ)، وكتاب "المآخذ الحِفال السامية" لابن المواق (ت642هـ).[148]

وهذا الكتاب ليس من وضع ابن رشيد ابتداء، وإنما هو تتميم لكتاب ابن المواق (المآخذ الحِفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال).[149]

ز. المقدمة المعرفة في علو المسافة والصفة.[150]

ح. الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي.[151]

ط. ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة.[152]

---

[148] يقارن ابن رشيد في عمله هذا بين هذه الكتب الثلاثة، ويعقب ويرجح بين أقوالها ونصوصها، فهو أولا يأتي بكلام عبد الحق الإشبيلي، ثم يردفه بكلام ابن القطان، ويعقب عليه بكلام ابن المواق، ثم يأتي بتعقيبه إن كان له تعقيب على كلام ابن المواق. ويرمز لكل واحد من المؤلفين الثلاث بحرف، فيرمز لعبد الحق بـ "ق"، ولابن القطان بـ"ع"، ولابن المواق بـ "م"، محافظا على ترتيب أبواب "بيان الوهم والإيهام"، إذ يأتي بها كاملة ثم ينتقد منها ما يحتاج لنقد، وأحيانا يزيد أبوابا إذا اقتضى الحال ذلك. [انظر: علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام، 396/1].

[149] ذكر الكتاني أن ابن المواق تولى تخريج كتابه هذا من المبيضة ثم اخترمته المنية، ولم يبلغ في تكميله الأمنية، وقد أكمل ما تركه المؤلف بياضا أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي الفهري المالكي صاحب الرحلة المشهورة في ست مجلدات.

ويقول ابن القصار: "ظهرت في تقب ابن المواق براعة نقده، إلا أنه بقي كتابه في نقص، إذ مات قبل أن يتممه، ثم أتمه أبي عبد الله ابن رشيد السبتي. (انظر: الرسالة المستطرفة، ص: 178).

[150] الكتاب في حكم المفقود. وممن ذكر تصنيفه لهذا الكتاب: الصفدي في "أعيان العصر وأعوان النصر" 678/4؛ وفي الوافي بالوفيات، 199/4؛ والذهبي في ذيل تاريخ الإسلام، ص: 212.

[151] الكتاب أيضا في حكم المفقود. وممن ذكر تصنيفه لهذا الكتاب: الصفدي في "أعيان العصر وأعوان النصر" 678/4؛ والذهبي في ذيل تاريخ الإسلام، ص: 212.

[152] سبق التعريف بهذا الكتاب عند الحديث عن رحلة ابن رشيد.

خاتمة:

يمكن أن أُجمل في خاتمة هذه الدراسة أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

1. من أسباب جمود الحركة الحديثية وتراجعها وانكماشها بالمغرب، في القرنين السابع والثامن الهجريين:

- توجه الدولة المرينية إلى الاعتناء بالفقه، ورد الاعتبار لكتب الفروع والعمل بها، والاهتمام أكثر بالعلوم الشرعية المنظمة لشؤون الناس ومعاملاتهم الدنيوية.
- الاعتقاد السائد في هذه الفترة بأن الأحاديث قد مُيّزت مراتبها، وعُرف صحيحها من سقيمها، فلم يبق غير تحمُّلها وروايتها.
- ضعف الهمة مقارنة مع العلماء الأقدمين، وصعوبة علوم الحديث وتشعبها.
- التوجه العام الذي سارت عليه الدولة من الاهتمام بالعلوم التي تسهل أساليب الحياة وتهذبها، وتوفر رغد العيش، كعلوم اللغة والطبيعة والتاريخ وعلوم الطب والفلك والرياضيات وغيرها، حيث عرفت في عهدهم تطورا ونشاطا قل نظيره.

2. تجلت بعض ملامح التجديد في المدرسة الحديثية في الفترة المرينية من خلال علمائها الكبار؛ وعلى رأسهم ابن رُشيد السبتي.

3. امتاز بها العصر المريني بإقبال كثير من أئمة المغرب على الرحلة، وكانت غالب رحلاتهم في طلب الحديث إلى البلاد المشرقية، خاصة بعد تدهور الأحوال في الأندلس وسقوطها.

4. يعتبر الحافظ ابن رشيد السبتي من أبرز النماذج التي اكتست رحلته الطابع الحديثي في هذا العصر، لما كان لهما من أثر بالغ في تجديد صرح المدرسة الحديثية في المغرب الأقصى.

5. تنوعت وتعددت جهود ابن رشيد في خدمة الحديث الشريف، حيث شملت مختلف قضاياه وعلومه رواية ودراية؛ بدءا بحرصه على لقاء الشيوخ والأخذ عنهم،

وعنايته بالإسناد والمسندين ضبطا لأسمائهم وطلبا للعالي من أسانيدهم وانتقاء لطرق التحمل عنهم.

6. اهتمام ابن رشيد بالنقد الحديثي، سواء تعلق بالعلل الواقعة في الأسانيد أو متون الأحاديث تصحيحا وتضعيفا، أو بالرجال جرحا وتعديلا.

شملت تصانيف ابن رشيد مختلف العلوم، في الحديث، والعقيدة، والأحكام، والأدب، والبلاغة، والنقد، والفهارس، وغيرها. إلا أن معظمها يتعلق بقضايا الحديث والسنة رواية ودراية. ويغلب على تآليفه طابع الاختصار، سوى رحلته الحافلة، التي تعتبر ديوان علم كبير.

فهرس المصادر والمراجع:

1. الإحاطة في أخبار غرناطة. للسان الدين ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1424هـ.
2. اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية. د.ت.
3. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لأبي العباس المقري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م.
4. استدعاءات الإجازة لابن رشيد، تحقيق: عبد اللطيف الجيلاني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1428هـ/2007م.
5. الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي ابن أبي الشرف، لابن الشاط، تحقيق: إسماعيل الخطيب، الناشر: جمعية البعث الإسلامي، تطوان، المغرب، 1406هـ/1986م.
6. إفادة النصيح بسند الجامع الصحيح، لابن رُشيد السبتي، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الناشر: الدار التونسية للنشر. د.ت.
7. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار التراث، القاهرة - المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى، 1379هـ/1970م.
8. الأنساب، لعبد الكريم التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، 1382هـ/1962م.
9. أوصاف الناس في التواريخ والصلات، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد كمال شبانة، الناشر: اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة. د.ت.
10. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، الناشر: دار التراث العربي، الكويت، الطبعة الثانية، 1987م.
11. جريدة ميثاق الرابطة، وهي جريدة إلكترونية أسبوعية تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، عدد: 11، بتاريخ 2010/11/26.

12. الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، لعبد اللطيف الجيلاني، الناشر: دار البشائر الإسلامية، 2005م.
13. درة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس. د ت.
14. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ/1972م.
15. ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة. لعبد الله كنون، الناشر: مركز التراث الثقافي المغربي - دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1430هـ/2010م.
16. ذيل تاريخ الإسلام، للذهبي، طُبع مع "تاريخ الإسلام"، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، 1990م.
17. رحلة ابن رشيد السبتي: دراسة وتحليل، لأحمد حدادي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى،1424هـ/2003م.
18. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة، 2000م.
19. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الناشر: دار الثقافة، الطبعة الأولى، 2004م.
20. سنن ابن ماجه، لابن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة. د.ت.
21. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.
22. السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن، لابن رشيد السبتي، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417هـ
23. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر (ج1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3) وإبراهيم عطوة (ج4، 5)، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ/1975م.
24. المجتبى من السنن، المعروف بـ"السنن الصغرى للنسائي"، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م.
25. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.
26. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م.

27. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
28. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
29. علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لابن القطان الفاسي، تأليف: إبراهيم بن الصديق، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.
30. علوم الحديث ومصطلحه: عرضٌ ودراسة"، لصبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، 1984م.
31. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، عنى بنشره: المستشرق الألماني جوتهلف برجستراسر، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، 1351هـ.
32. الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، تحقيق: عليّ البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1971م.
33. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ترقيم وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
34. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية، 1982.
35. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، وصوّرتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية. تاريخ النشر: 1941م.
36. لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
37. مجلة دعوة الحق، السنة: 36، العدد: 315، 1995م.
38. ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، لابن رشيد السبتي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: الجزء الثاني: الدار التونسية للنشر، 1402، والجزء الثالث، الشركة التونسية للتوزيع، 1982، والجزء الخامس: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
39. منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، لأبي بكر كافي، الناشر: دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2000م.
40. الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م.